الفصل الثالث

القضية اليهودية تلتقى مع المسألة الشرقية

ناپليون يدعو اليهود لحمل السلاح

من ناپليون القائد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية فى إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلسطين الشرعيين :

أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد الذى لم تستطع قوى الفتح والطغيان أن تسلبهم اسمهم ووجودهم القومى، وإن كانت قد سلبتهم أرض الأجداد فقط.

إن مراقبى مصائر الشعوب الواعين المحايدين ـ وإن لم تكن لهم مواهب المتنبئين مثل «إشعياء، ويوئيل» ـ قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من دمار وشيك لمملكتهم ووطنهم: أدركوا أن عتقاء الله سيعودون لصهيون وهم يغنون، وتغمرهم الغبطة والسرور ويهرب الحزن والأنين (إشعياء ـ ٣٥ : ١٠).

انهضوا إذن بسرور أيها المبعدون. إن حربًا لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، تخوضها أمة دفاعًا عن نفسها بعد أن اعتبر أعداؤها أرضها التى توارثوها عن الأجداد غنيمة ينبغى أن تقسم بينهم حسب أهوائهم. وبجرة قلم من مجلس الوزراء تقوم للثأر وللعار الذى لحق بها وبالأمم الأخرى البعيدة. ولقد نُسىَ ذلك العار تحت قيد العبودية والخزى الذى أصابكم منذ ألفى عام. ولئن كان الوقت والظروف غير ملائمة للتصريح بمطالبكم أو التعبير عنها، بل وإرغامكم على التخلى عنها،

فإن فرنسا تقدم لكم إرث إسرائيل فى هذا الوقت بالذات، وعلى عكس جميع التوقعات.

إن الجيش الذى أرسلتنى العناية الإلهية به، والذى يقوده العدل ويواكبه النصر جعل القدس مقرّا لقيادتى، وخلال بضعة أيام سينقل إلى دمشق المجاورة التى لم تعد ترهب مدينة داود.

يا ورثة فلسطين الشرعيين

إن الأمة التى لا تتاجر بالرجال والأوطان كما فعل أولئك الذين باعوا أجدادهم لجميع الشعوب (٦ : ٤ يوئيل) تدعوكم لا للاستيلاء على إرثكم، بل لأخذ ما تم فتحه والاحتفاظ به بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأخوى شرفًا لإسبرطة وروما (المكابيين ١٢ : ١٥)، وإن معاملة العبودية التى دامت ألفى عام لم تفلح فى إخمادها.

سارعوا! إن هذه هى اللحظة المناسبة ـ التى قد لا تتكرر لآلاف السنين ـ للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم، تلك الحقوق التى سلبت منكم لآلاف السنين، وهى وجودكم السياسى كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعى المطلق فى عبادة يهوه، طبقًا لعقيدتكم، علنًا وإلى الأبد (يوئيل ـ ٢٠ : ٤)[١].

قلة فقط هم الذين لا يجهلون الآن حقيقة أن نابليون بونابرت كان أول رجل دولة يقترح إقامة دولة يهودية فى فلسطين قبل وعد بلفور بـ ١١٨ سنة، بل إن وايزمان وصف نابليون بأنه «أول الصهيونيين الحديثين غير اليهود»[٢].

لقد اختار نابليون الوقت الذى كان فيه فى سوريا ضمن حملته الكبرى على الشرق للاعتراف بحقوق اليهود. وفى ربيع عام ١٧٩٩م، أصدر بيانًا طلب فيه من يهود

إفريقيا وآسيا أن يقاتلوا تحت لوائه لإعادة إنشاء مملكة القدس القديمة. وقد اتضح أن البيان الذى ادعى أنه صادر عن «قيادة نابليون فى القدس» كان فيه دعاية حربية؛ لأن نابليون لم يقترب بفرقته قط من المدينة، بل تقهقرت من فلسطين إلى مصر بحراً بعد هزيمته فى عكا فى شهر آيار/ مايو عام ١٧٩٩م[٣]، ولم يكن هناك أى أمل فى أن يفى بوعده الذى قطعه فى بيانه.

لكن هذا لا يعنى أن البيان كان «التفاتة خالية من المعنى»[٤]، ومن الجدير بالذكر أن شائعات غير رسمية عن نوايا نابليون الصهيونية راجت عشية حملته للشرق، وهيأت الأرضية لهذا البيان. وكانت رسالة غفلاً من التوقيع قد انتشرت بين اليهود الإيطاليين (الذين اعتبروا نابليون محررهم العظيم) تتضمن خططًا منفصلة عن بعث اليهود كأمة، وقد ظهرت الرسالة مطبوعة فى فرنسا وإنجلترا[٥] حيث كان «دعاة النهضة» الإنجليز يرقبون حملة نابليون والغيرة تملأ قلوبهم، ويلقون باللوم على الساسة الإنجليز فى إضاعة الفرصة من أيديهم.

فى أبريل ١٧٩٨م، نشرت صحيفة (La Decade Philosophique Litteraire) الرسالة التى عبرت عن قناعتها بأن اليهود سيدعمون فرنسا فى فلسطين بالرجال والأموال، «سيتدفقون جماعات لا من أجل جعل الصناعة مزدهرة فحسب، بل لتحمل نفقات الثورة فى سوريا ومصر»[٦].

ومن الأهمية بمكان، أن مقدمة البيان تخاطب اليهود بشكل مباشر على أنهم «الورثة الشرعيون لفلسطين»، وتعيد للأذهان «نبوءات إشعياء، ويوئيل» التوراتية عن عودة اليهود إلى صهيون، والأهم من ذلك، أن الرسالة التى لم تكن تحمل توقيعًا تحدثت عن حدود دولة إسرائيل المقترحة بعبارات تجارية أكثر منها توراتية:

> **إن الدولة التى ننوى إقامتها ستشمل (بالاتفاق مع فرنسا) مصر السفلى، بالإضافة إلى منطقة يحدها خط يمتد من عكا إلى البحر الميت.. وهذا الموقع الذى يعد أكثر المواقع فائدة فى العالم سيجعلنا، عن طريق السيطرة على ملاحة البحر الأحمر، سادة تجارة الهند والجزيرة العربية وجنوب وشرق إفريقيا والحبشة وإثيوبيا..**[٧].

ويشير المؤرخ اليهودى المعروف «سالو بارون ـ Salo Baron» إلى أن اقتران الصيغ

التجارية والتوراتية أمر له دلالته، وهو يرى أن للبيان أهمية رمزية كبرى على الرغم من عدم وجود نتائج آنية له:

بيان نابليون الشهير للشعب اليهودى خلال الحملة المصرية عام ١٧٩٩م، وإن كانت نتائجه الآنية ضئيلة، يرمز إلى اعتراف أوروبا بحقوق اليهود فى فلسطين. لم يكن نابليون يسعى لحل القضية اليهودية بدافع من حبه للآخرين. إن اعترافه الذكى بمصلحة اليهود الذين حاول أن يضمهم لجيشه، ودعمه للأمل الذى حصل عليه اليهود من الكتاب الإنجليز والفرنسيين مؤشر على مدى شحن الجو الأوروبى بالتوقعات المتعلقة بالمسيح المنتظر[٨].

راقت الفكرة الصهيونية لنابليون، حيث إنها كانت تنسجم مع مفهومه الرومانسى عن القومية، واهتمامه السياسى الشخصى باستغلال اليهود فى خططه الاستعمارية. وجاء فى مذكراته التى كتبها فى سانت هيلينا:

كان «التكتل» وهو تجميع الشعب الذى توحده الجغرافيا وتفرقه الثورات والعمل السياسى أحد مثلى العليا، ففى أوروبا ٣٠ مليون فرنسى و١٥ مليون إسبانى و١٥ مليون إيطالى و٣٠ مليون ألمانى. لقد كان فى نيتى أن أجمع كلاً من هذه الشعوب فى دولة قومية مستقلة[٩].

على هذا، فقد كان بيان نابليون بمثابة اعتراف دولى بوجود قومى يهودى، واعتقاده ببعث أمة يهودية فى فلسطين، فملايين اليهود المشتتين فى أوروبا يجب أن يجمعوا فى نهاية المطاف فى دولة يهودية فى فلسطين تخدم المصالح الاستعمارية الفرنسية عن رضا.

الصهيونية والطموحات الفرنسية فيما وراء البحار

لم يكن تظاهر نابليون بالصهيونية لفترة وجيزة حدثًا منفصلاً عن تاريخ الاستعمار الفرنسى، رغم أن الصهيونية الفرنسية كانت تفتقر إلى الاستمرارية والتدفق المنقطع الذى تميز به تيار الأفكار الصهيونية البريطانية غير اليهودية.

ومع نهاية القرن الثامن عشر، كانت الأفكار الصهيونية التى ترسخت فى فرنسا، ووجدت فكرة البعث اليهودى منطلقًا لها فى القرنين السابع عشر والثامن عشر من خلال التعاليم الدينية المقترنة بأخلاقيات العهد القديم المتزمتة التى كان يبشر بها الهوجنوت البروتستانت والجنسينيين الكاثوليك(*). ومع أن فكرة البعث اليهودية لم تلق رواجًا كالذى لقيته فى إنجلترا خلال هذه الفترة، إلا أن فرنسا وجدت نظيرًا لأوليفر كرومويل تمثل فى شخص «جين باپتيست كولبرت ـ Jean Baptiste Colbert» كبير وزراء الملك لويس الرابع عشر، وأحد دعاة المركنتالية الذى تحدث كسلفه كرومويل عن المكاسب الاقتصادية التى يمكن أن تجنيها فرنسا من اليهود نتيجة خبرتهم التجارية، وعلى ذلك فقد كان متعاطفًا مع وجود يهودى فى فرنسا(١٠).

وانتعشت الصهيونية غير اليهودية فيما بعد نابليون أيام إمبراطورية نابليون الثالث الثانية (١٨٥٢ ـ ١٨٧٠م) عندما تجددت الأنشطة الاستعمارية على نطاق أشد، فقد ضم نابليون الثالث الجزائر فى شمال إفريقيا، وأقام محمية فرنسية فى الهند الصينية انطلاقًا من سياسته الخارجية العدوانية، كما كانت له طموحات فى الشرق الأوسط. وفى عام ١٨٥٤م، أقحم نابليون الثالث فرنسا فى حرب القرم مع روسيا متذرعًا بحماية الرهبان الكاثوليك فى الإمبراطورية العثمانية.

وكان الممثل الرئيسى للصهيونية غير اليهودية فى هذه الحقبة هو «إرنست لاهاران ـ Ernest Laharanne» السكرتير الخاص لنابليون الثالث، والذى كان يؤيد بشكل سافر خطط نابليون لاحتلال الشرق. وفى عام ١٨٦٠م، وضع كتابًا بعنوان «المسألة الشرقية اليهودية ـ وإحياء القومية اليهودية»، استعرض فيه مناقشات الإنجليز الصهيونيين غير اليهود المؤيدة للاستيطان اليهودى فى فلسطين، وأكد المكاسب الاقتصادية التى ستجنيها أوروبا إذا ما أقام اليهود فى وطنهم القديم. وتحدث بإعجاب كبير عن الشعب اليهودى الذى «شق طريقًا رئيسيًا وطرقًا جانبية أخرى جديدة للحضارة الأوروبية. ولما كان من الممكن إنقاذ حضارة الشرق الأوسط المتداعية بحقنة من الحضارة الأوروبية، فإن على أوروبا كلها أن تساعد على انتزاع فلسطين من الإمبراطورية العثمانية وإعطائها لليهود. وقد عبر لاهاران عن فكرته عن اليهود كجنس بقوله «يا لهم من مثل يحتذى! ويا لهم من

(*) الهوجنوت هم البروتستانت الفرنسيون، والجنسينيين هم أتباع جنسينوس صاحب مذهب النعمة الإلهية والجبرية.

جنس! إننا نحنى رءوسنا لكم أيها الرجال الأشداء. لقد كنتم أقوياء بعد مأساة القدس؛ لأنكم كنتم كذلك طوال تاريخكم القديم، وإن الباقين منكم يمكن أن ينهضوا من جديد ويعيدوا بناء بوابات القدس»[١١].

لم تتمخض هذه الدعوة التى تعيد للأذهان بيان بونابرت عام ١٧٩٩م عن نتائج سياسية آنية، ومع ذلك فإن جيل الصهيونيين اليهود الجديد الذى كان آخذًا فى الظهور على مسرح التاريخ اليهودى تبنى تلك الأفكار. ففى عام ١٨٦٢م، نشر «موسى هس ـ Moses Hess»، أحد الآباء المؤسسين للصهيونية اليهودية، كتابه «روما والقدس» الذى اقتبس فيه الكثير من كتاب لاهاران، وكان واثقًا أن فرنسا ستدعم المساعى الصهيونية فى فلسطين:

> **ألا تزالون تشكون فى أن فرنسا ستساعد اليهود على إقامة مستعمرات قد تمتد من السويس إلى القدس، ومن ضفتى نهر الأردن حتى البحر المتوسط؟ إن فرنسا ستوسع مهمة التحرير لتشمل الأمة الصهيونية. ويبدو أن الفرنسيين واليهود قد خلق كل منهما للآخر فى كل شىء**[١٢].

التوسع الأوروبى وفلسطين اليهودية

برزت فكرة البعث القومى اليهودى من جديد فى الثقافة الغربية الأوروبية فى أكثر الأوقات ملاءمة من ناحية سياسية، فخلال القرن التاسع عشر أصبح الوجودُ اليهودى فى فلسطين ـ بغض النظر عن دلالاته النبوئية الدينية السابقة، ودلالته فى مناصرة النفعية والسامية ـ قضيةً سياسيةً بالنسبة للدول الأوروبية التى كانت تصبو إلى التوسع فيما وراء البحار، وإقامة الإمبراطوريات. وتم ربط الأفكار الدينية والإنسانية بذكاء مع السياسة الواقعية القائمة على الحصول على نفوذ فى الشرق الأدنى أو تقويته. وأصبحت السلطات الدينية والدنيوية تتاجر بالأفكار الصهيونية، نظرًا لجدواها المحتملة فى الوضع السياسى السائد. ووجدت فلسطين نفسها تدور فجأة فى فلك السياسة الأوروبية وواقعة تحت قوى النفوذ المتصارعة للدول الرئيسة جميعًا، وهى «فرنسا وبريطانيا وروسيا» وكان ذلك تحت شعار «المسألة الشرقية». كانت نقطة الارتكاز فيما يسمى

«المسألة الشرقية» هى وضع الإمبراطورية العثمانية المتردى الذى كانت فلسطين جزءًا لا يتجزأ منه. وكانت حملة نابليون الطموح للشرق، ومحاولات قطع خطوط المواصلات بين بريطانيا ومستعمراتها الشرقية قد عجلت فى تداعى الإمبراطورية العثمانية. كما أن تمزق هذه الإمبراطورية ذات الموقع الإستراتيجى، والممتدة من بحر الأدرياتيك حتى الخليج العربى، كان يعد مشكلة خطيرة لميزان القوى القائم فى أوروبا.

وكان الأمر الذى يقض مضاجع أوروبا فى القرن التاسع عشر هو طموح روسيا للتقدم جنوبًا، وهى التى كانت تنتظر بفارغ الصبر فى عهد نيكولا الأول سقوط الإمبراطورية العثمانية أملاً فى أن يمهد ذلك لها الطريق للتوسع فى اتجاه البلقان. ومع بداية القرن التاسع عشر كانت قوة روسيا فى المنطقة تنذر بالخطر، لا بسبب وجود أسطولها فى البحر الأسود فحسب، بل إنها كانت قد احتلت بعض أراضى الإمبراطورية العثمانية على أثر سلسلة من الحروب الروسية التركية. فضلاً عن ذلك، فإن روسيا كانت قد حصلت على حق حماية مصالح جميع رعايا السلطان من الأرثوذكس.

وكانت حملة نابليون عام ١٧٩٩م، قد أثارت اهتمام بريطانيا بالشرق الأوسط، وبخاصة فلسطين؛ حيث كانت أهمية المنطقة الإستراتيجية للإمبراطورية البريطانية أمرًا معروفًا. وكان من نتائج الحاجة الماسة لمنع سيطرة فرنسا على المنطقة أن قامت معركتا النيل وعكا، كما توجهت حملة عسكرية بريطانية شرقًا. وسرعان ما أصبح هم بريطانيا الأكبر هو كبح جماح روسيا عن طريق دعم السيادة التركية بأى ثمن.

وكان تأييد بريطانيا لوحدة أراضى الإمبراطورية العثمانية متناقضًا فى بعض الأحيان، بدليل دعم وزير الخارجية «ستراتفورد كاننج ـ Stratford Canning» لاستقلال اليونان عن السلطان، وانتهت الحرب التركية الروسية عام ١٨٢٨م بعقد معاهدة أدريانوبل التى ساعدت فى تقطيع أوصال الإمبراطورية العثمانية بسبب منحها اليونان الاستقلال وإقامة وصاية روسية فى مقاطعات البلقان كافة. ويبدو أن كاننج لم يكن يرى فى استقلال اليونان ما يتعارض مع إعادة استقرار الإمبراطورية العثمانية.

وعندما تولى اللورد بالمرستون وزارة الخارجية عام ١٨٣٠م لأول مرة، كان ضعف الإمبراطورية العثمانية المستشرى ظاهرًا للعيان، وكانت سياسة بريطانيا تجاهها غير مستقرة، ففى أعقاب معاهدة «أنكيار سكلسى ـ Unkiar Skelessi» عام ١٨٣٣م التى

أقامت تحالفًا بين القيصر والسلطان، أظهرت بريطانيا تصميمًا على إحياء سياستها التقليدية، وهى تعزيز مركز السلطان من خلال تحديث جهازيه الإدارى والعسكرى[١٣].

بالمرستون والسياسة البريطانية الاستعمارية فى الشرق الأوسط

كان اللورد بالمرستون (١٧٨٤ ـ ١٨٦٥م) أهم نصير سياسى لمشروع اللورد شافتسبرى الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين، كما أنه كان أول من اكتشف الفكرة السياسية فى صلب الحلم الدينى البروتستانتى، لم يكن بالمرستون بروتستانتيًا مؤمنًا، كما أن معرفته بالتاريخ العبرى لم تكن كفيلة بأن تجعله يفرق بين إبراهيم وموسى. ولم يكن بالرجل الذى تؤثر فيه الأفكار الدينية، ولكنه كان سياسيًا محنكًا أدرك ما خلفته الأفكار الصهيونية البروتستانتية من آثار فى الرأى العام. وقد قالت زوجته ذات مرة للأميرة ليڤن:

> **إن العناصر الدينية والمتعصبة تقف إلى جانبنا، وأنت تدركين قوة أتباعها فى هذا البلد. إنهم مصممون تمامًا على أن تستبقى القدس وفلسطين كلها لليهود ليعودوا إليها. إن همهم الأوحد هو إعادة اليهود[١٤].**

ويرى وبستر Webster فى تأريخه لعهد بالمرستون أن الدافع «كان إرضاء قطاع مهم من الرأى العام أكثر منه أسبابًا إنسانية»[١٥]، لكن استرضاء الرأى العام كان أقل أهمية من الوصول إلى تسوية للمسألة الشرقية من خلال استعمار فلسطين.

إبقاء «الرجل المريض» حيًا

كان الوضع السياسى الذى تطور فى الشرق الأوسط بعد تحدى محمد على للسلطان، يتطلب من بريطانيا أن تبذل قصارى جهدها لإبقاء الإمبراطورية العثمانية سليمة، فقد كانت بريطانيا بحاجة إلى من تحميه فى الشرق الأدنى ليرعى مصالحها فى المستقبل هناك.

«وبالمقارنة بالفرنسيين الذين كانوا يتمتعون بنفوذ محلى باعتبارهم حماة الكاثوليك، والروس الذين كانوا يدعمون اليونان الأرثوذكس، فلم يكن لبريطانيا من تشمله بحمايتها بسبب الدين المشترك[١٦]. وكانت مخاوف بريطانيا على مركزها فى الشرق الأدنى متركزة على فرنسا وروسيا اللتين كانتا تتلهفان على موت «رجل أوروبا المريض» أملاً فى الحصول على نصيبيهما من تركة الإمبراطورية.

كان اليهود فى نظر پالمرستون، كوزير للخارجية البريطانية، يمثلون عنصراً أساسيّا لدعم السلطان ضد أية خطط شريرة فى المستقبل يفكر بها محمد على أو من يخلفه[١٧]، وكان اللورد شافتسبرى قد أطلع اللورد پالمرستون زوج حماته على المزايا السياسية لفلسطين اليهودية، فقد جاء فى يومياته فى ١ أغسطس ١٨٣٩م ما يلى:

> **تناولت طعام العشاء مع پالمرستون، ثم بقينا وحدنا. أفصحت له عن مشروعاتى (للاستيطان اليهودى فى فلسطين) التى يبدو أنها وجدت هوى فى نفسه. أثار بعض الأسئلة ووعد بالنظر فيه. كم هى رائعة العناية الإلهية! إنها رائعة إذا قومت بالوسائل البشرية. لقد اختار الله پالمرستون ليكون أداة الخير لشعبه القديم. ويظهر الولاء لإرثهم ويعترف بحقوقهم دون أن يؤمن بقدرهم. يبدو أنه سيفعل أكثر من ذلك. مع أن الدافع نبيل لكنه ليس قويّا. إننى مضطر لمناقشة الموضوع من ناحية سياسية ومادية وتجارية. أنه لا يبكى كسيده على القدس ولا يدعو لها بأن ترتدى حللها الجميلة[١٨].**

وفى عام ١٨٣٨م، وبناء على إلحاح شافتسبرى، نفذ اللورد پالمرستون قراراً سابقًا بفتح قنصلية بريطانية فى القدس وتعيين نائب قنصل هناك. وظهرت عدة تفسيرات للأسباب التى دفعت بـ «پالمرستون لاتخاذ هذا القرار، فبعض المؤرخين يرى أن ذلك كان ناجمًا عن اهتمام پالمرستون بعودة اليهود، ونيته فى استغلال الوجود اليهودى داخل الإمبراطورية العثمانية لتعزيز النفوذ البريطانى فى الشرق الأدنى. ويرى آخرون، ومنهم «ماير ڤيريت ـ Mayir Verete»، أن قرار پالمرستون ليس إلا جزءاً من سياسته العامة «بإقامة شبكة من القنصليات فى ممتلكات السلطان من أجل إيجاد مصالح جديدة لبريطانيا أو الدفاع عن المصالح القائمة هناك، ومقاومة مصالح

القوى الأخرى وبخاصة روسيا»[١٩]. ويرى ماير أن لا علاقة للعنصر اليهودى بالموضوع كليّا.

لم يكن هناك بالتأكيد نقاش رسمى حول علاقة القضية اليهودية بقرار فتح قنصلية فى القدس، ولكن كان من المؤكد أنه لا بد من ظهور اهتمام بالعامل اليهودى عند افتتاح القنصلية عام ١٨٣٤م. فمراسلات پالمرستون مع سفيره للباب العالى پونسونبى Viscount John Ponsonby واختياره «ويليام يونج ـ William Young» ـ وهو كتابى متدين وصديق للورد شافتسبرى ـ ليكون أول نائب قنصل فى القدس عام ١٨٣٨م تدل على أن للعامل اليهودى دوراً فى قرار پالمرستون النهائى.

ويليام يونج: حامى اليهود فى فلسطين

عندما عين پالمرستون يونج نائبًا للقنصل فى القدس، كانت تعليماته تنص بالتحديد على أن من بين مهامه حماية كل اليهود المقيمين فى فلسطين، كما طلب منه أن يبعث تقريراً لوزارة الخارجية عن حالة السكان اليهود فى الأراضى الواقعة ضمن نطاق سلطاته القنصلية.[٢٠] وكانت تعليماته «لتقديم الحماية لليهود بشكل عام» تتضمن اعترافًا باليهود كأمة وارتباطهم بفلسطين قبل وضع البرنامج الصهيونى اليهودى بأمد طويل. وفى مايو ١٨٣٩م، وتنفيذاً لتعليمات پالمرستون، أرسل يونج إلى وزارة الخارجية تقريراً يقول فيه: إن عدد اليهود المقيمين فى فلسطين ٩٦٩٠ شخصًا، وإن وضعهم بائس، وإنهم يعتمدون اعتماداً كاملاً على المساعدة الخارجية[٢١].

وكان حماس يونج لتقديم الحماية «لليهود بشكل عام» يفضى كثيراً إلى نزاع مع القنصل البريطانى المقيم فى مصر، الكولونيل پاتريك كامپل، الذى شعر بأن حماس يونج المبالغ فيه دفعه لتجاوز حدود سلطته. وكانت الحماية القنصلية البريطانية تشمل، طبقًا لمعاهدة الحقوق المعروفة، اليهود المقيمين فى فلسطين الذين يحملون جنسيات أخرى، أما يهود الإمبراطورية العثمانية (يهود الراية) فكانوا يعتبرون رعايا للإمبراطورية خاضعين لتشريعات السلطان، وكتب كامپل «ليس لك حق فى حمايتهم أكثر مما للنمسا أو لفرنسا من حق فى حماية المواطنين الكاثوليك، أو لروسيا أو اليونان فى حماية الرعايا الروم»[٢٢]. ودافع يونج عن تصرفاته قائلاً إنها تتمشى مع تعليمات پالمرستون الشخصية فى ٣١ يناير عام ١٨٣٩م «لقد كانت رغبة پالمرستون التى لا لبس

فيها هى جعل العبرانيين فى فلسطين يدركون موقف بريطانيا الودى تجاههم، ورغبتها فى حمايتهم من ظلم جيرانهم وظلم السلطات المحلية لهم»[٢٣].

وفى نهاية القرن التاسع عشر، أصبحت الوحدة القومية للشعب اليهودى أحد التأكيدات المعطاة للصهيونية اليهودية، ولكن بالمرستون الذى وقف إلى جانب يونج فى نزاعه مع كامبل، كان قد اتخذ هذا الموقف قبل ذلك بنصف قرن عندما خلط بين يهود «الحماية» ويهود «الراية» ولم يفرق بينهما. وكان التدخل البريطانى لصالح يهود الراية يعتبر من الناحية القانونية تدخلاً فى الشئون الداخلية لبلد أجنبى.

كان دعم بالمرستون للاستيطان اليهودى فى فلسطين جزءًا متممًا لنزعاته الصهيونية، وفى هذا الإطار الدولى كان دعمه لخطة اللورد شافتسبرى الداعية لإعادة اليهود بشكل جماعى إلى فلسطين يظهر أحاسيسه السياسية.

الاستيطان اليهودى/ المصالح البريطانية

كان الرأى العام يؤيد منذ أمد طويل الاستيطان اليهودى فى فلسطين، أما على الصعيد السياسى فقد كانت قضية الاستيطان جديدة، وكان بالمرستون رجلاً واقعيًا مهتمًا بالمكاسب السياسية التى يمكن أن تجنيها بريطانيا من خطة الاستيطان، وكان مدركًا أنه لا بد من إقناع الدوائر السياسية الإنجليزية بذلك. وفى يناير عام ١٨٣٩م، تلقى بالمرستون مذكرة يفترض أنها مرفوعة من سكرتير البحرية البريطانية ـ هنرى إنس «نيابة عن الكثيرين ممن ينتظرون تحرير إسرائيل»، وكانت المذكرة موجهة «إلى كل دول شمال أوروبا وأمريكا البروتستانتية» وتطالب الحكام الأوروبيين بأن يقتدوا بقورش وينفذوا إرادة الله عن طريق السماح لليهود بالعودة إلى فلسطين. ومع أن المذكرة كانت مكتوبة بأسلوب إنجليكانى، وتتضمن الكثير من الاقتباسات من التوراة، إلا أنها كانت تظهر انتقال الصهيونية غير اليهودية من مرحلة التوقعات الكتابية الدينية إلى التدخل السياسى النشط. وقام بالمرستون برفع المذكرة للملكة ڤيكتوريا التى كانت معروفة بورعها[٢٤].

حظيت المذكرة بتغطية واسعة من الصحافة، واعتبرت الصحف المرموقة كالتايمز وجلوب ـ وهى الجريدة شبه الرسمية لوزارة الخارجية ـ أن الاستيطان اليهودى أمر

مفروغ منه، وأعادت التايمز نشر «مذكرة لحكام البروتستانت» بعد مضى أكثر من عام على إصدارها[٢٥]، وبعد خمسة أشهر ظهرت مقالة بعنوان «سوريا - بعث اليهود» تشير إلى أن «اقتراح توطين اليهود فى أرض آبائهم وبحماية القوى الخمس لم يعد مسألة تأمل وتفكير، بل قضية سياسية خطيرة.[٢٦] وأثارت المقالة هذه لأول مرة، قضية رغبة اليهود واستعدادهم للتعاون مع الصهيونيين غير اليهود فى مثل هذا المشروع.

اليهودية غير الصهيونية

مع أن النقاش العام كان يتزايد، فإن المشاركة اليهودية بقيت قاتمة الظلال؛ ذلك أن قلة من اليهود الإنجليز كانت راغبة فى عمل شىء ما بالنسبة لمشروع العودة. وعندما استفسر اللورد پالمرستون شخصيًا من مجلس الوكلاء اليهودى فى لندن عن مدى مساهمة اليهود فى مشاريع الاستيطان لم يحظ بجواب شاف. عندما بعث رسالة مثيرة إلى سفيره فى القسطنطينية پونسونبى فى ١١ أغسطس عام ١٨٤٠م جاء فيها:

> **يسود بين اليهود الشرقيين فى أوروپا شعور جياش بأن الوقت الذى سيعود فيه شعبهم إلى فلسطين بات وشيكًا، وبالتالى فإن شوقهم للذهاب إلى هناك عارم، وأصبح تفكيرهم موجهًا أكثر من قبل نحو وسائل تحقيق ذلك. ومن المعروف أن يهود أوروپا يملكون ثروة ضخمة، وأن أى بلد تختاره مجموعة كبيرة منهم لسكناها سيجنى فوائد جمة من الثروات التى سيجلبونها معهم.. ومن المفيد للسلطان أن يشجع اليهود على العودة إلى فلسطين واستيطانها؛ لأن الثروة التى سيجلبونها معهم ستضاعف موارد ممتلكاته. وإذا ما عاد اليهود بموافقة وحماية ودعوة السلطان، فإنهم سيحولون دون أية خطط شريرة قد يفكر فيها محمد على أو خَلَفُهُ فى المستقبل...[٢٧].**

وتبين الفقرة الأولى من هذه الرسالة، أن پالمرستون كان يؤمن بصحة رأيه، وكان تقويمه لشوق اليهود للاستيطان فى فلسطين مبنيًا على مذكرة رفعها أى. س. كالمان أحد رعايا السلطان اليهود الذى كتب لپالمرستون:

يدرك اليهود أنه لا علاج لهم كشعب إلا عودتهم إلى الأرض المقدسة . . . وأن بيانًا شبيهًا بذلك الذى أصدره قورش سيردد صداه مئات الألوف من يهود پولندا وروسيا وغيرهما . سيردده الأغنياء كما سيردده الفقراء الذين سيستبدلون رضا الحياة الأكثر هدوءًا واستقرارًا نتيجة فلاحتهم الأرض بنمط حياتهم الحالى المقلقل والمضطرب .

كانت مذكرة كالمان مضللة ولا تستند إلى أساس، تمامًا كرسالة پالمرستون إلى پونسونبى[٢٨] . وحتى المؤرخون الصهيونيون يعترفون أن اليهود الأوروپيين كانوا أيام حماس پالمرستون أبعد ما يكونون عن الرغبة فى الانشغال بأية خطة للاستيطان فى ولاية فلسطين العثمانية[٢٩]، وكان اهتمامهم بالكفاح من أجل التحرير السياسى والمدنى فى بريطانيا أكبر من اهتمامهم بالاستيطان .

وكان اللورد شافتسبرى أكثر واقعية حين كتب لپالمرستون محذرًا من التفاؤل الذى لم يكن فى محله :

سيرتاب الأغنياء ويستسلمون لمخاوفهم . أما الفقراء فسيؤخرهم جمع المال ـ وإن قلة منهم لتفضل مقعدًا فى مجلس العموم فى بريطانيا على مقعد تحت أشجار العنب والتين فى فلسطين، وقد تكون هذه أحاسيس بعض الإسرائيليين الفرنسيين . أما يهود ألمانيا الكفار فيحتمل أن يرفضوا الاقتراح[٣٠] .

وعلى الرغم من عدم حماس اليهود ومعارضة السلطان، وتحذير شافتسبرى، استمر پالمرستون فى مشروعه على المستوى الدپلوماسى . ففى ٤ سپتمبر عام ١٨٤٠م، كتب لسفيره فى القسطنطينية، وهو أحد معارضى المشروع، يذكره :

لا تتوان عن متابعة نصحى للباب العالى بدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين . إنك لا تدرك مدى ما سيثيره مثل هذا الإجراء من اهتمام المتدينين فى هذا البلد بقضية السلطان . إن نفوذهم كبير واتصالاتهم واسعة . فضلاً عن ذلك، فإن هذا الإجراء فى حد ذاته سيكون ذا فائدة كبيرة للسلطان؛ إذ إنه سيجلب إلى ملكه عددًا كبيرًا من الأثرياء الرأسماليين الذين سيوظفون الناس ويثرون الإمبراطورية[٣١] .

إحياء شباب تركيا

كان بالمرستون مصممًا على تسوية المسألة الشرقية من خلال استيطان اليهود لفلسطين، رغم أنه لم يكن يلقى تأييدًا من غير صحافة المحافظين. وكان وزير الخارجية البريطانى يرى أن الوجود اليهودى فى فلسطين يحقق مكسبين للمصالح البريطانية: مكسبًا مباشرًا وهو وجود مجموعة موالية لبريطانيا فى منطقة ليس لها فيها من يواليها، كما أن أهميتها بالنسبة للمصالح الاستعمارية البريطانية فى الخارج كانت تتزايد، ومكسبًا غير مباشر وهو تدفق رأس المال والعمالة اليهودية التى يحتاجها السلطان لدعم نظامه الاقتصادى المنهار تقريبًا.

لم تكن خطة بالمرستون لإحياء شباب تركيا تعتمد على تفكيره فى الأموال اليهودية فحسب، بل على إعجابه الشديد بالثقافة والمهارة اليهودية، وما سيحدثه ذلك من أثر فى «تركيا المتأخرة». وهكذا كان عامل الصهيونية العرقى واضحًا ملموسًا. والواقع أن كل الصهيونيين غير اليهود آنذاك كانوا يقللون من شأن الحضارة الشرقية والإسلام. ولو أجريت دراسة مفصلة للرأى العام، لكان من المحتمل أن تظهر، أن هناك ارتباطًا بين معتنقى الأفكار الموالية للصهيونية والتحيز ضد العثمانيين، فعندما قامت الثورة اليونانية (١٨٢٠ ـ ١٨٢١م) التف الرأى العام فى أوروبا، وبخاصة فى بريطانيا، حول القضية اليونانية، وكان يقف ضد الإمبراطورية العثمانية «المتأخرة المتوحشة». وأصبح الربط بين «تأخر ووحشية» الإمبراطورية والدين الذى تعتنقه أمرًا شائعًا، وأضحى الإسلام دليلاً على عدم الكفاءة والطغيان، بل إنه اعتبر سببًا لاضمحلال الإمبراطورية العثمانية.[٣٢] وعندما وصل ستراتفورد كاننج إلى القسطنطينية فى يناير عام ١٨٣٢م سفيرًا لبلاه، بعث رسالة رسمية إلى وزارة الخارجية فى لندن قال فيها:

«لا أرى بديلاً لها (الحضارة العثمانية) سوى الحضارة النصرانية»[٣٣].

كان اليهود يعتبرون مختلفين عن بقية سكان فلسطين، وينظر إليهم على أنهم رمز الحضارة الأوروبية فى الإمبراطورية الإسلامية، وانتهى بالمرستون وزملاؤه فى وزارة الخارجية إلى أن الإمبراطورية يمكن أن تحيا إذا ما جرى تحديثها ـ لإحياء شبابها ـ على أسس غربية، وقد نفذوا ذلك بخطة الاستيطان اليهودية[٣٤]. وكانت هذه هى خلفية العرض الذى قدمه بالمرستون للسلطان لدعوة اليهود للعودة إلى فلسطين، مؤكدًا فى

رسالة ثانية إلى پونسونبى أن الوجود اليهودى بما فى ذلك ثروة اليهود وصناعتهم سيعزز «تقدم الحضارة»[٣٥].

الصهيونيون الإنجليز قبل هرتزل

كان من بين أنصار پالمرستون داخل وزارة الخارجية البريطانية إدوارد ل. متفورد والكولونيل چورچ جولر من مكتب المستعمرات فى لندن.

إدوارد ميتفورد ـ Edward Mitford

أخذ ميتفورد يدعو فى آخر الأمر إلى صهيونية أشد تطرفًا، وإلى إقامة دولة متكاملة. وفى عام١٨٤٥م، قدم خطة نيابة عن الأمة اليهودية بخصوص السياسة البريطانية فى الشرق:

> **الخطة التى اقترحها هى إيجاد أمة يهودية فى فلسطين كدولة محمية تحت وصاية بريطانيا العظمى أولاً. ثم توطينهم نهائيًا كدولة مستقلة عندما تكتسب المؤسسات الأم القوة الكافية لإنهاء الوصاية...**[٣٦].

ومن بين «المزايا التى لا تحصى»، المزايا الاقتصادية والإستراتيجية التى تعد أساسية، فالدولة اليهودية ستضع «إدارة مواصلاتنا التجارية فى أيدينا تمامًا، وستجعلنا مسيطرين على الشرق بحيث نستطيع أن نحد من الانتهاكات، ونرهب أعداءنا ونحول دون تقدمهم إذا دعت الضرورة»[٣٧]. وكانت الملاحة خلال أربعينيات القرن التاسع عشر قد جعلت الشرق الأدنى مهمًا لسيطرة بريطانيا على الطريق للهند، فالسفن التجارية بحاجة إلى التزود بالوقود؛ ولذا فإن السفن البريطانية كانت تستعمل طريق البحر المتوسط ـ البحر الأحمر عبر السويس بدلاً من طريق رأس الرجاء الصالح الطويل.

وكان ميتفورد، كغيره من الصهيونيين، منحازًا لليهود، فقد وصفهم بأنهم شعب متفوق تتجسد فيه صفات الشجاعة والمثابرة التى جعلتهم جديرين بدولة مستقلة لهم فى فلسطين، ولكنه كان بعيد النظر بحيث أثار مشكلة السكان العرب فى فلسطين:

البلاد غير مكتظة بالسكان حاليًا بالنسبة لمساحتها، ولكن الضغط الواقع على السكان الفعليين بسبب هذا العدد من الغرباء قد تكون له نتائج ضارة؛ لذا فمن المستحسن تهيئة البلاد لاستقبالهم قبل محاولة التوصل إلى تسوية. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق إغراء الحكومة التركية بجعل السكان المحمديين يعودون إلى آسيا الصغرى الواسعة التى لم تفلح إلا جزئيًا...[٣٨].

جورج جولر - George Gawler

كان جولر، على يقين بأن اليهود وحدهم هم القادرون على دعم الإمبراطورية العثمانية من خلال الاستعمار، ولكن موقفه كان بالمرستونيًا أكثر من سلفه، فقد أوصى فى كتيبه «تهدئة سوريا والشرق» عام ١٨٤٥م بإقامة مستعمرات يهودية بشكل تدريجى على أن تكون تحت الحماية البريطانية بموجب اتفاق مع الحكومة العثمانية، ثم يمنح اليهود فى النهاية حكمًا ذاتيًا تحت حماية بريطانيا العظمى. وكان يرى أن فلسطين اليهودية هى الضمان الوحيد لاستمرار نفوذ بريطانيا فى الشرق. وفى الأول من أكتوبر عام ١٨٤٧م، كتب ليعقوب فرانكلين، وهو حاخام يهودى إنجليزى:

إذا كان لى أن ألتمس المبررات لمساهمتى فى تأسيس مستعمرة فى أستراليا الجنوبية، ففى طليعتها احتمال أن يكون ذلك وسيلة لى للحث على استعمار فلسطين. إننى أعتقد أن أعداء إسرائيل وراء الهجمات المستمرة ضد إنجازاتى فى أستراليا، وهم من ذوى المناصب العليا الذين لا خلاق لهم... ومع أننى من المحافظين فى السياسة، فإننى أشعر بالغبطة وأنا أرى تقدم التحرر المدنى لإخوانكم فى إنجلترا وأوروبا؛ لأننى أعتقد أنهم أهل لذلك، ولإيمانى بأن كل خطوة نحو التحرر هى تحرك نحو فلسطين... إن الامتيازات فى الدول المسيحية تهدد قوميتكم.. يجب أن تكون لكم نقطة ارتكاز تحافظون عليها...[٣٩].

وكانت وجهة نظره من تحرير اليهود هى وجهة نظر الكثير من الصهيونيين غير اليهود فى وقت كان التحرير يحتل المكان الأولى بالنسبة لليهود الأوروبيين.

تشارلز هنرى تشرشل

كان تشرشل واحداً من الرعيل الأول من الصهيونيين السياسيين غير اليهود، وقد عمل ضابطًا فى الحملة البريطانية التى أرسلت إلى سوريا لمساعدة السلطان على الإطاحة بمحمد على. كان تشرشل ينتقد سياسة پالمرستون الشرقية التى ترمى إلى الإبقاء على الإمبراطورية العثمانية على قيد الحياة قدر المستطاع، ويدعو بدلاً من ذلك إلى تحرير سوريا وفلسطين من تركيا ووضعها تحت الوصاية البريطانية. أما اليهود فهم فى نظره مستوطنون، وحماة للمصالح البريطانية.

وبمقارنة تشرشل مع پالمرستون، نرى أنه أظهر تفهمًا أكثر واقعية لأحوال اليهود فى أوروپا آنذاك، فقد كان يدرك أنه ليست «لدى اليهود الأوروبيين نية صادقة للعودة إلى فلسطين»؛ ولذا بدأ يروج لهذه الفكرة بينهم. وفى ١٤ يونيو عام ١٨٤١م، كتب «لموسى مونتفيور ـ Moses Montefiore»، رئيس مجلس الوكلاء اليهودى فى لندن:

> **لا أخفى عنك رغبتى الجامحة فى أن أرى قومك يحاولون استعادة وجودهم كشعب، وأرى أن الموضوع ميسور تمامًا. لكن هناك شرطين ضروريين لذلك: أولهما: أن يتولى اليهود أنفسهم الموضوع عالميًا وبالإجماع، وثانيهما: أن تساعدهم القوى الأوروبية على تحقيق أهدافهم**[٤٠].

وفى عام ١٨٤٢م، بعث تشرشل رسالة إلى مونتفيور طالبًا منه أن ينقل لليهود الألمان «خطابًا ألمانيًا» أرفقه مع رسالته، واقترح فيه «أن يقدم يهود إنجلترا، بالتعاون مع إخوتهم فى أوروپا، طلبًا للحكومة البريطانية بوساطة وزير خارجيتها إيرل أبردين لإيفاد شخص كفء للإقامة فى سوريا تكون مهمته الإشراف على مصالح اليهود هناك»[٤١]، لكن هذا قوبل بالرفض اليهودى. وجاء فى قرار لمجلس الوكلاء اليهودى فى ٧ نوفمبر عام ١٨٤٢م، «من المستحيل البدء بأية إجراءات لتنفيذ وجهة نظر الكولونيل تشرشل الطيبة تجاه يهود سوريا»[٤٢].

الصهيونية تتأخر قبل أن تعلن

بقيت الصهيونية حتى منتصف القرن التاسع عشر مقتصرة على غير اليهود، فقد كان أولئك الذين اختاروا مناصرة الشعب اليهودى وحقه فى العودة إلى فلسطين يفعلون ذلك بدافع شخصى وليس بالتعاون مع الشعب اليهودى. ويشير المؤرخون الصهيونيون الحديثون إلى أن غير اليهود من أمثال پالمرستون وميتفورد وجولر وتشرشل كانوا يؤذنون بمجىء الحركة الصهيونية الحقيقية، ولكنهم كانوا أكثر من مجرد رواد لهذه الحركة؛ إذ كانوا صهيونيين مخلصين فى صهيونيتهم مثل «وايزمان أو هرتزل أو نوردو». كانت المبادئ الصهيونية الأساسية موجودة وواضحة المعالم: فهناك فكرة وحدة الشعب اليهودى، وفكرة الارتباط الذى لا تنفصم عراه بفلسطين على أمل العودة إليها. لقد أدرك پالمرستون ورفاقه الصهيونيون كلتا الفكرتين واستخدموهما قبل أن ينسبهما اليهود لأنفسهم بعشرات السنين.

* * *

هـوامش الفصل الثالث

(١) كما ورد فى :

Franz Kobler, Napoleon and the Jews (New York, 1975) pp. 7 - 55.

(٢) انظر : رسالة وايزمان لونستون تشرشل الواردة فى :

Richard Crossmas, A Nation Reborn (London, 1956) p. 130.

(٣) تكشف النص المزدوج الوارد فى البيان حديثًا عندما اكتشف فرانز كوبلر عام ١٩٤٠ مخطوطة ألمانية للنص الفعلى للبيان كانت فى حوزة مهاجر ألمانى فى لندن . (فقد اختفى النص الأصلى منذ عهد بعيد ، وربما كان ذلك منذ هزيمته فى عكا) . وكان المؤرخون قبل ذلك يعتمدون على الجريدة الفرنسية Moniteur Unuverselle الصادرة فى ٢٢ مايو عام ١٧٩٩ .

(٤) كما تدعى بربارة تخمان فى كتابها : Bible and Sword (London, 1956) p. 105

(٥) أعيد نشره فى St. James Chronicle يوم ١٤ يوليو عام ١٧٩٨ و The Monthly Visitor and Pocket Companion ، ومجلد ٤ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٦ بعنوان «رسائل كتبت حديثًا من يهودى إلى إخوانه» .

(٦) La Decade Philosophique, Litteraire et Politique, Vol. 6, Nos. 20 -- 21, 9 and 19, April 1798.

(٧) See also Albert M. Hyamson, Palestine: The Rebirth of An Ancient People (London, 1917), pp/ 3 - 162.

(٨) Salo W. Baron, A Social and Religious History of the Jews (New York, 1937), Vol. 2, p. 327.

(٩) Lsa Casas (ed.) Memoires (of Napoleon) (Paris. 1823(, Vol 1, p.247.

(١٠) W. Sombart, Jews and Modern Capitalism (new York, 1939) p. 39.

(١١) As quoted in Ferdinand Zweigm Israel: The Sword and the Harp (London, 1969), p. 243.

(١٢) Moses Hess, Eome and Jerusalem. A Study in Jewish Nationalism, translated by Meyer Waxman (New York, 1918). pp. 149, 167, 168.

(١٣) للمزيد من الدراسة المفصلة والتحليل الذكى لسياسة پالمرستون المتعلقة بالشرق الأوسط خلال سنواته الأولى فى وزارة الخارجية انظر :

Fredrick S.Rodkey, Lord Palmerston and the Rejuvenation of Turkey, 1830 - 1841. Journal of Modern History, Vol. 1 No4, December 1929. pp. 570 - 593.

وكذلك القسم الثانى من المصدر السابق، مجلد ٢، رقم ٢، يونيو ١٩٣٠م، ص ١٩٣ ـ ٢٢٥. انظر كذلك:

Harold W. Temperley, England and the Near East: The Crimea (London, 1936).

(١٤) كما وردت فى:

Sir Charles Webster, The Foreign Policy of Palmerston 1830 - 1841 (London, 1951) Vol. 2. p.761.

(١٥) المصدر السابق.

(١٦) Isaiah Friedman, Lord Palmerston and the Protection of the Jewa in Palestine, 1839 - 1851, Jewish Social Studies, 1839 | المصدر السابق.

(١٧) من پالمرستون إلى برنسونبى، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٣٨/ ٣٩٠ (رقم ١٣٤، ١١ أغسطس ١٨٤٠).

(١٨) كما وردت فى Norman Bentwich and John M. Shaftesley Foreunners of Zionism in the Victorian Era, p. 210 See Also Edwin Hodder, The Life and Work of the Seventh Earl of Shaftesbury (London, 1886), Vol. 1. pp - 310.

(١٩) Mayir Veretem, Why was a British Consulate established in Jerusalem Zion, Vol. 26. Nos. 3 - 4, 1961, pp. 37 - 215.

(٢٠) من بدول (وزارة الخارجية) إلى يونج، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/ ٣٦٨ (رقم٢) ٣١ يناير عام ١٨٣٩، مسودة المذكرة موقعة بالحروف الأولى لپالمرستون.

(٢١) من يونج إلى پالمرستون، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/ ٣٦٨ (رقم ١٣) ٢٥ مايو عام ١٨٣٩.

(٢٢) من كامبل إلى يونج، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/ ٣٦٨ (رقم ٦) ٢٨ مايو ١٨٣٩.

(٢٣) فرايدمان، المصدر السابق، ص٢٦.

(٢٤) من پالمرستون للملكة فيكتوريا، ٢٢ يناير ١٨٣٩. أعيد طبعها فى الجزء الثانى ـ ملحق ٦٥، ص ٢٣١ ـ ٢٣٤ من كتاب: N, Sokolow, History of Zionism (London 1919).

(٢٥) التايمز (لندن)، ٩ مارس عام ١٨٤٠.

(٢٦) المصدر السابق، ١٧ أغسطس عام ١٨٤٠: أشارت مقالة مماثلة نشرت فى صحيفة Globe فى ١٤ أغسطس عام ١٨٤٠ بعنوان "A Regard for the Jews" إلى دور إنجلترا الخاص ومسئوليتها فى مساعدة اليهود على العودة إلى فلسطين.

(٢٧) من پالمرستون إلى پونسونبى، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/ ٣٩٠ (رقم ١٣٤) ١١ أغسطس عام ١٨٤٠.

(٢٨) مغلف رقم١: من پالمرستون إلى پونسونبى، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ١٩٥/ ١٦٥ (رقم ٢٦١) ٢٥ نوفمبر عام ١٨٤٠.

(٢٩) لم تحظ محاولات الصهيونيين غير اليهود لتوطين اليهود لتوطين اليهود فى فلسطين بتأييد كبير من يهود بريطانيا، فقد رفض مجلس وكلاء لندن اليهودى التورط فى هذا الموضوع على الرغم من أن موسى مونتفيور Moses Montefiore، أحد دعاة المستوطنات الزراعية فى فلسطين كان رئيسًا له فى ذلك الوقت.

انظر:

Franz Kobler, The Vision was there (London 1956) pp. 65 - 66 and 68 - 71.

وانظر كذلك المصدر السابق Bentwick and Shaftesley, pp. 207 - 209 أما بالنسبة لليهود الأوروبيين فتكفى الإشارة هنا إلى أن مؤتمر الأحبار الذى عقد فى فرانكفورت عام ١٨٤٥ م رفض فكرة العودة تمامًا، وأقر «حذف جميع» التوسلات للعودة إلى أرض الآباء أو إحياء دولة يهودية Protokolle und Aktenstuecke der Zweiten Robbiner Versammlung (Frankfurtm 1845), p. 106 وبقيت اليهودية، حتى عام ١٨٧٢م، ترفض صهينة مستقبلها، وخلال المؤتمر اليهودى الدولى الأول الذى عقد فى ذلك العام، اجتمع ممثلون عن يهود إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، والنمسا، والولايات المتحدة لدراسة حال اليهود فى رومانيا، ولم يتطرق إلى أى حل عن طريق الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

(٣٠) متضمن فى مغلف رقم ٢ فى المصدر السابق.

(٣١) كما ورد فى المصدر السابق لوبستر Webster، مجلد٢، ص ٧٦٢.

(٣٢) انظر ص ٨٤ ـ ٨٧ من المجلد الأول للمصدر السابق لوبستر، وكذلك رسائل أبردين إلى جوردون، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/ ١٧٩، ٢١ نوفمبر عام ١٨٢٩م وفيها وصف أبردين الإمبراطورية العثمانية بأنها «بناء من القوة الهمجية سيتداعى سريعًا بسبب الوهن الداخلى».

(٣٣) كما ورد ص ٢٦٤ من المجلد الأول من كتاب وبستر السابق.

(٣٤) من Finn إلى بالمرستون، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/ ٨٧٤ (رقم ٢٠) ٧ نوفمبر عام ١٨٥١م.

(٣٥) من بالمرستون إلى بونسونبى، مخطوطات مكتب السجل العام، وزارة الخارجية ٧٨/ ٤٢٧ (رقم ٣٣) ١٧ فبراير عام ١٨٤١م، وقد صادقت الملكة ڤيكتوريا على هذه الرسالة.

(٣٦) انظر ص ٧٦ من كتاب كوبلر السابق، ١٩٥٦م.

(٣٧) Israel Cohen, The Zionist Movement (New York, 1946), p. 52.

(٣٨) كما ورد فى ص ٧٧ من كتاب كوبلر السابق.

(٣٩) كما ورد فى ص ٢١٨ من كتاب Bentwich and Shafesley السابق.

(٤٠) ص ٥١ من كتاب كوهين السابق. كان تشارلس هنرى تشرشل حفيد دوق مارلبورو؛ ولذلك فهو الجد الأعلى لونستون تشرشل.

(٤١) كوبلر، المصدر السابق، ١٩٥٦م، ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٤٢) المصدر السابق، ص ٦٦.